

1- تعريف المكي والمدني:

عرّف العلماء هذين المصطلحين على ثلاثة آراء:

- الرأي الأول يقول: إنّ المكيّ هو ما نُزِّل قبل الهجرة، وأنّ المدنيّ ما نُزِّل بعد الهجرة وإن كان بمكة.
- وهذا الرأي هو أفضل الآراء وأصحّها، لأنّه يأخذ في الاعتبار تاريخ النزول. ولهذا التاريخ أهميّة كبرى في معرفة الناسخ والمنسوخ، واستنباط الأحكام.
- الرأي الثاني يرى أنّ المكيّ ما نُزِّل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدنيّ ما نُزِّل بالمدينة. ويدخل في مكة ضواحيها، فيُعتبر مكياً ما نُزِّل على النبي (صلى الله عليه وسلم) في منى وعرفات والحديبية. ويدخل في المدينة ضواحيها أيضاً، فيُعتبر مدنيّاً ما أنزل على النبي (صلى الله عليه وسلم) في بدر وأحد وسَلَع.
- وهذا التقسيم يقوم على أساس مكان النزول، فهو لا يساعد على معرفة الناسخ والمنسوخ، ويُؤخذ عليه أنه لم يحصر جميع أمكنة التنزيل، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) نُزِّل عليه الوحي أيضاً في تبوك وبيت المقدس.
- الرأي الثالث يذهب إلى أنّ المكيّ ما وقّع خطاباً لأهل مكة، والمدنيّ ما وقّع خطاباً لأهل المدينة.
- ووضع القائلون بهذا الرأي ضوابط لمعرفة المكيّ والمدنيّ، فقالوا: إنّ ما صدر في القرآن بلفظ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أو بلفظ ﴿يَبْنَىٰٓءَآدَمَ﴾ فهو مكّي؛ لأنّ الكفر كان غالباً على أهل مكة، فخطبوا بـ ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أو ﴿يَبْنَىٰٓءَآدَمَ﴾، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم؛ أمّا ما صدر من القرآن بعبارة ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فهو مدنيّ؛ لأنّ الإيمان كان غالباً على أهل المدينة، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.

وقد اعترض على هذا الرأي باعتراضات:

أولها: أن مخاطبة أهل مكة ومخاطبة أهل المدينة هما موضوعان من موضوعات القرآن الكريم، لكن هناك آيات كثيرة ليس فيها خطاب لأي من هذين الفريقين، فما موقعها بين المكي والمدني من القرآن؟ وما جدوى القول حينذاك بأن القرآن ينقسم إلى مكي ومدني؟

ثانيها: أن الضوابط التي ذكرت لتعيين المكي والمدني – وفق هذا الرأي – وهي الخطاب ب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ لأهل مكة وب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لأهل المدينة لا تطرد في القرآن الكريم. فهناك آيات مدنية صُدِّرت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، ففي سورة البقرة، وهي مدنية، جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١) وكذلك افتتحت سورة النساء – وهي مدنية – بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (النساء: ١).

ومن ناحية أخرى ورد الخطاب بصيغة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في آيات مكية، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ (الحج: ٧٧).

ثالثها: أن هذا التقسيم إلى مكي ومدني لن يفيدنا شيئاً في دراسة تاريخ القرآن الكريم؛ لأنه يستبعد الجانب الزمني، كما أنه لا يعتبر تقسيماً موضوعياً، لأن خطاب أهل مكة وخطاب أهل المدينة ليسا سوى جانبين من جوانب كثيرة تناولها القرآن الكريم^(١).

^١ - في علوم القرآن، ص 51.

2- هل أشار النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المكي والمدني؟

«قال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يكن من النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك قولٌ، ولا ورد عنه أنه قال: اعلّموا أنّ قدر ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا، وفصله لهم. ولو كان ذلك منه، لظهر وانتشر، وإنما لم يفعله، لأنه لم يؤمر به. ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجبَ في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، ليعرف الحكم الذي تضمنتهما، فقد يُعرف ذلك بغير نص الرسول بعينه، وقوله: هذا هو الأول المكي، وهذا هو الآخر المدني.»

وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم، لمّا لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي والمدني ممّا لا يسوغ الجهل به، لم تتوفّر الدواعي على إخبارهم به، ومواصلة ذكره على أسماعهم، وأخذهم بمعرفته. وإذا كان كذلك، ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكيّ أو مدنيّ، وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد، وحينئذ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكي والمدنيّ، ولم يجب على من دخل في الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية أنزلت قبل إسلامه: مكية أو مدنية. فيجوز أن يقف في ذلك أو يغلب على ظنه أحد الأمرين. وإذا كان كذلك، بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته في الناس؛ ولزوم العلم به لهم، ووجوب ارتفاع الخلاف فيه»⁽²⁾.

3- هل معرفة المكي والمدني واجبة على المسلم؟

رأينا في الفقرة السابقة أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يعلم الصحابة، رضي الله عنهم، ما هو مكيّ وما هو مدنيّ، فمعرفة المكي والمدني ليست واجبة على كلّ مسلم، لكنها واجبة على المجتهد، أو المفتي، لمعرفة الناسخ من المنسوخ. قال محمد بن حبيب النيسابوري في كتابه «التبني على فضل علوم القرآن»: «من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدنيّ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكيّ، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني

² - الإتيان في علوم القرآن 191/1 - 192.

في المكي، ثم ما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، ثم ما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيئاً، وما نزل مفرداً، ثم الآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، ثم ما حُمِلَ من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة، إلى مكة، وما حُمِلَ من المدينة إلى أرض الحبشة، ثم ما نزل مُجْمَلًا، وما نزل مُفَسَّرًا، وما نزل مرموزًا، ثم ما اختلفوا فيه، فقال بعضهم: مدني. هذه خمسة وعشرون وجهًا؛ مَنْ لم يعرفها ويميز بينها، لم يحلَّ له أن يتكلم في كتاب الله تعالى»⁽³⁾.

وكان لبعض الصحابة علم واسع بمعرفة المكي والمدني، فقد روي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «والله الذي لا إله غيره، ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيما نزلت. ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل، لركبتُ إليه».

4- خصائص السور المكية

من هذه الخصائص:

- أ- بدؤها بحروف التَّهْجِي، فكلُّ سورة أولها حروف التَّهْجِي هي مكية. ويُستثنى من ذلك سورة البقرة وسورة آل عمران، فهما مدنيتان بالإجماع.
- ب- بدؤها بلفظة «كلا».
- ج- احتواؤها على الآيات القصار. ويُستثنى من ذلك بعض السور المدنية التي حوت الآيات القصار، ومنها سورة النصر، وهي من أواخر ما نُزِّل.
- د- تضمُّنها قصصًا عن الأنبياء والأمم السابقة. ويُستثنى من ذلك سورة البقرة.
- هـ- تضمُّنها قصة آدم وإبليس، ويستثنى من ذلك أيضًا سورة البقرة.
- و- تميُّزها بقوة الألفاظ، وقصر الفقرات، ودورانها حول التوحيد، أو التهديد، أو وصف الجنة والنار؛ لأنَّ ظروف الدعوة كانت تستدعي هذه الأمور.
- ز- سُخْرِيَّتُها من المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها، ودعوتهم إلى التأمل في الكون والاحتكام إلى الحسّ والعقل، وتأكيد وحدانية الله، والبُعْث، والثواب، والعقاب.

³ - الإتيان في علوم القرآن 192/1.

ح- إظهار عادات أهل مكة القبيحة، كالزنا، والقتل، وأكل أموال اليتامى، ودعوتهم إلى الرحمة، والمحبة، والبرّ بالوالدين والأقربين.

5- خصائص السُّور المدنية

- أ- عدم بدئها بحروف التهجي. ويُستثنى من ذلك سورة البقرة وسورة آل عمران، فقد بدأت بحروف التهجي، وهما مدنيّتان.
- ب- احتواؤها على الآيات الطوال، ويستثنى منها بعض السُّور المكيّة التي حوت آيات قصارًا، ومنها سورة النصر.
- ج- تضمّنها ذكر الحدود والفرائض الدينية، وتنظيم الدولة، والدعوة إلى الرحمة والتسامح.
- د- تضمّنها آيات تأمر بالجهاد، وتُفصّل أحكامه.
- هـ- ذكرها المنافقين، وذلك لأنّ النِّفاق لم يكن «من الظواهر المألوفة في فترة الدعوة بمكة، لأنّ المسلمين كانوا قلة. وكانوا ضُعفاء بالقياس إلى المشركين، فلم يكن مشركو مكة يُناققون المؤمنين، لكنّ الأوضاع تغيّرت في المدينة، فقد كان المسلمون هناك قوّة غالبية. ومن هنا لم يجرؤ كثير من الكفار على معارضتهم معارضة صريحة، فلجأوا إلى النفاق»⁽⁴⁾.
- و- تحدّثها عن سلوك اليهود وتحريفهم كلام الله، وغير ذلك ممّا ارتكبوا من الجرائم.

6- وصّف السورة بأنّها مكيّة أو مدنيّة:

توصف السورة بأنّها مكيّة أو مدنيّة تبعًا لفاتحتها أو لما يغلب عليها. فكل سورة نزلت فاتحتها في مكة (أي: قبل الهجرة) تعتبر مكيّة. وكلّ سورة نزلت فاتحتها في المدينة (أي: بعد الهجرة) تعتبر مدنيّة.

وهناك سُور كلّ آياتها مكيّة، وسُور أخرى كلّ آياتها مدنيّة، وهناك سُور اختلف العلماء حولها.

فالسور المدنيّة عشرون، وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الجمعة، المنافقون، الطلاق، التحريم، النصر.

⁴- في علوم القرآن ص 55.

والسُّور المختلف فيها اثنتا عشرة سورة، وهي: الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، التطفیف، القدر، لم يكن، وإذا زلزلت، الإخلاص، المعوذتان. وبقية السور المكية، وهي اثنتان وثمانون سورة.

7- نماذج من السُّور المكية وما بها من آيات مدنية:

سورة الأنعام: مكية وفيها آيات مدنية هي: 20، 23، 91، 93، 114، 141، 151، 153.

سورة الأعراف: مكية ما عدا الآيات 163-170 فهي مدنية.

سورة يونس: وهي مكية ما عدا الآيات 40، 94، 95، 96 فهي مدنية.

سورة هود: وهي مكية ما عدا الآيات 12، 17، 114 فهي مدنية.

8- نماذج من السور المدنية وما بها من آيات مكية:

سورة البقرة: وهي مدنية ما عدا الآية 281، فهي مكية.

سورة المائدة: وهي مدنية ما عدا الآية 3، فهي مكية.

سورة الأنفال: وهي مدنية ما عدا الآيات 30 – 36، فهي مكية.

سورة التوبة: وهي مدنية، أما المكي فيها فهما الآيتان الأخيرتان.

